

مآل العنف الثوري عند كارل ماركس

The fate of revolutionary violence according to Karl Marx

لخضاري ناصر^{1*}، حسان بركان²

¹ مخبر: حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة1 (الجزائر)، nacer.lakhdari@univ-batna.dz

² مخبر: حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة1 (الجزائر)، Hassane.berkane@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2024/05/27

تاريخ الإرسال: 2024/02/28

ملخص:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فهو لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن بني جنسه، ونظرا لهذه الأهمية أفرد علم الاجتماع بدراسة العلاقات المختلفة التي تربط بين البشر في إطار التجاذب والتنافر، ومن صور هذه العلاقات؛ العنف والتسامح، حيث أن العنف يتمثل في إلحاق الأذى المادي أو المعنوي بالذات أو بالغير، ويكون عن طريق المساس بالممتلكات أو بالأحاسيس والمشاعر، في حين أن التسامح هو الصفح عمن أخطأ في حقلك أو في حق الغير بأي شكل من الأشكال ويمثل أرقى القيم الأخلاقية، خاصة وأنه يعبر عن نزوع البشرية نحو السلم والخير ومختلف المشاعر والعواطف النبيلة. وهو لا ينبع دوما من ذاته، بل في الكثير من الأحيان ما يتولد من نقيضه وهو العنف. ومن بين من أقر بذلك "كارل ماركس" من خلال تنبئه بالتسامح المتولد عن العنف؛ الناجم من نمو الوعي وميلاد العنف الثوري وانقلاب الموازين من الرأسالية إلى الشيوعية.

كلمات مفتاحية: المآل، العنف، الثورة، التسامح، كارل ماركس.

Abstract:

In view of this importance social has been devoted to the study of the different relation ships that bind human beings in the context of attraction and disharmony. One form of such relations is violence and tolerance violence consists in physical, mental or other harm. It is through damage to property, feeling and fewlings, while tolerance is for those who have sinned against you and represents the highest moral values, especially; s tendency towards peace and good various noble feelings and emotions. It doean't flow without his death. In many cases, it is the opposite of violence that it generates. And among those who acknowledged it was carl Marks, through his prediction of tolerance generated by violence resulting from the growth of consciouanea, the birth of revolutionary vilence, and the coup of scales from capitalism to communism.

Keywords: Money; Violence; Revolution; Tolerance; Karl Marx.

إن الدراسات الحديثة والمعاصرة بالضبط في شقها الفلسفي، أصبحت تنزع أكثر إلى الإهتمام بالإنسان وظروفه ومشاكله وما يعانيه في هذا الوجود خاصة، وأن حياة الإنسان لا تأخذ دوماً في علاقتها جو التجاذب، بل كثيراً ما تسودها صور التنافر؛ ومن صور هذا التنافر "العنف".

فالإنسان كائن عدواني يمارس العنف، ولكن نتيجة للإكراهات والضغطات منها: ما هو داخلي وهو ما أشارت إليه الدراسات النفسية، ومنها ما هو خارجي وهو ما يظهر في كثير من آراء ومواقف المفكرين والفلاسفة ومن بينهم "كارل ماركس"، الذي رأى في الاختلال الاجتماعي واللاتوازن المادي عامل أساسي في بلورة الصراع خاصة وأن هذا الصراع يأخذ شكل مشروع من أجل تغيير الموازين وقلب ما هو فردي إلى ما هو اجتماعي، وما هو حر إلى المساواة. فالنزوع إلى الثورة لا يأخذ دوماً طابع الاستلاب أو الإضطهاد بل قد تكون وسيلة مبررة لاسترجاع الحق وإثبات الذات بل وأيضاً في خلق توازن في مختلف نواحي الحياة.

في ظل ذلك يمكن طرح الإشكالية الآتية:

- كيف أسس ماركس لخطاب ثوري يقضي على كل ضروب التفاوت ويدعو لبناء عدالة إجتماعية؟

وتحت هذه الإشكالية تنطوي عدة مشكلات فرعية:

-فيما تمثل العنف في الخطاب الإيديولوجي الماركسي؟ وما هو مآل العنف في الفلسفة الماركسية؟

- وإلى أي مدى يمكن القول أن الشيوعية كإيديولوجية كان لها أثر في ميلاد الوعي السياسي؟

-وكيف نبني خطاب قيمي معاصر يكرس مبادئ مواطنة نابذة لكل أشكال وصور العنف؟

2- من الوعي البناء إلى العنف:

2-1- نمو الوعي مصدر التغيير:

إن الواقع المعاش الذي يحياه العمال ويعانون منه كل يوم من أيام حياتهم: عمل، اجتهاد، تفاني... في مقابل الفقر، البؤس، الشقاء، الحرمان... هذه الصورة التي تحمل طرفين متناقضين تجعل ضرورة نمو وعي لديه للتغيير، وعي بناء حركته الظروف الاجتماعية لا المدركات العقلية المجردة أو التصورات المثالية المتعالية.. ويتجلى ذلك في قول ماركس: "ليس وعي الأفراد هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم". (بوليتزر، صفحة 189)

وعليه فإنه لا يجب أبداً الإهتمام بطبقة أصحاب المال كونها طبقة تعيش الرفاهية دون أن تقدم شيء، بل على العكس من ذلك تماماً لا بد أن ينحصر كل الإهتمام في العمال، كونهم طبقة

مضطهدة تعيش مختلف أشكال المعاملة، فالإهتمام بالطبقة الدنيا هو الشغل الشاغل ووعها هو أولى الأولويات ويمثل اللبنة الأولى لبداية التغيير.

إن العلة الأساسية للإختلال الاجتماعي أي لوجود طبقتين إنما يرجع في الأساس إلى الملكية الفردية، فأفراد لا يعملون يملكون وآخرون يملكون ولا يعملون، هو الذي وسع الفجوة بين الملاك والعمال وخلق ثغرة كبيرة مليئة بالتناقضات والتضاربات شكلت بذرة وعي بالإنقلاب، لذلك: "فإن طريقة إنتاج الرأسمالية الحالية تفترض مسبقا وجود طبقتين، فمن جهة طبقة الرأسماليين التي تمتلك وسائل الإنتاج المعيشية، ومن جهة أخرى طبقة البروليتاريا، التي نظرا لتجدها من هذه الملكية لا تمتلك للبيع سوى سلطة واحدة هي قوة عملها، ولذلك تضطر بيع قوة عملها بغية الحصول على وسائل معيشتها وقيمة هذه السلعة على أي حال، تحددها الكمية الضرورية الاجتماعية والمتجسدة في إنتاجها". (الهوراني، 2008، صفحة 70)

من كل ذلك يتقرر بأن النظر إلى المجتمع لا يكون بطريقة سطحية من خلال ما حققه من تطور وازدهار، وإنما لزام أن تكون الرؤيا معمقة موجهة إلى الطبقة الدنيا وما تحياه من ظروف قاهرة، هذه الأخيرة ساهمت في نمو الرغبة نحو التغيير. (لوكاش، 1982، صفحة 30)

وعلى هذا الأساس فإن سيرورة التاريخ إذا مربوطة بالبروليتاريا، التي تلعب دورا فعالا في تحريك المادية التاريخية وقلب الموازين. فالوعي إذا هو وعي للعمال وما يعانونه من ظلم واضطهاد وفقر... وهذا كله يعد لبنة أولى ومؤشر أساسي لبداية العمل على الانتقال من الشعور إلى العمل، الوعي يشكل مرحلة أولى لفهم التطور التاريخي.

2-2- الثورة سلاح التغيير:

إن مغالاة المجتمع البرجوازي في إتباع كل الطرق من أجل تحقيق الثورة والربح، جعل من أصحاب المال يدوسون على العمال، فأضحى العامل عندهم حيوان يعمل فقط، فغابت القيم الأخلاقية وضاع الجانب الإنساني وأصبح المبتغى الأول هو تحقيق الثروة والازدهار دون النظر إلى أي شيء آخر، هذه النظرة العامة جعلت من الثورة ضرورة لا خيار والتعجيل بها لازم كي لا تتفاقم الأوضاع أكثر، كون أن صبر العمال قد نفذ وبالتالي فالثورة تحمل تحرر العمال ولهذا: "لقد اعتبر ماركس ثورة الفقراء ثورة سياسية من أجل الحرية في الوقت ذاته، هذا الربط بين الخبز والحرية هو الذي ميز قراءته الثورة الفرنسية". (بشارة، صفحة 54)

وبالتالي فلا مناص العمال كي يتخلصوا من هذه الأوضاع المزرية التي يعيشونها سوى إيمانهم بمشروعية الثورة التي سيسبقها الوعي الناتج عن تلك الظروف، لكن ذلك لا يكون بصورة فردية،

مآل العنف الثوري عند كارل ماركس

وإنما جماعية، فالجميع ملزمين بتنوير عقولهم ورفع هممهم والنزوع نحو الثورة في شكل يد واحدة. (هيود، 2012، صفحة 149)

والعمل الثوري يكون من خلال مراحل فمن الوعي الذي يكون في قرارة الذات وتفرضه الأوضاع إلى تشكيل أحزاب سرية من أجل نقل الوعي من الذات إلى الجميع وصولاً إلى الإضراب الذي يكون في صورة علنية تشبه كل طبقات العمال يشارك فيه الجميع ممن يعانون من اضطهاد برجوازية، وكل هذا من أجل تغيير الأوضاع.

وهذا ما حدث في فرنسا: "أما في فرنسا فالملكية تترتع من جديد تحت ضربات الأزمة الاقتصادية وتظاهر الجماهير أمام قصر الملكة مطالبة بالعمل والخبز ويثور أربعون ألفاً من عمال الحريز في ليون فهم يربحون أقل من أجورهم". (أطالي، 2008، صفحة 27)

وبالتالي فالتاريخ ما هو إلا صراع للطبقات يمثل هذا الصراع مراحل تطور الحياة الاجتماعية لذلك يقول ماركس: "إن تاريخ أي مجتمع ليس سوى تاريخ صراعات طبقية". (دونكر، 2008، صفحة 350)

3 - ميلاد العنف الثوري المبرر:

3-1- الإيمان ببذرة العنف المشروعة:

إن النظام الرأسمالي هو نظام فاشل، وقد أثبت فشله أكثر من خلال ما أقره ماركس بأن الرأسمالية تحمل في طياتها بذور فنائها وآيات بطلانها، وبالتالي فهي نظام قاتل وسلاح قتلها هو التقسيم الطبقي. (جونز، 2010، صفحة 95)

وقد نظر ماركس إلى المجتمع الرأسمالي على أنه مقسم إلى فئتين: الأولى برجوازية يمثلها الرأسماليين، مالكي كل شيء غايتهم الربح.

والثانية البروليتاريين: وهم العمال، يعملون دون أجر، ويعيشون فقط من أجل العمل. و"الذين لا يعيشون إلا إذا وجدوا عمل ولا يجدون عمل إلا إذا كان عملهم ينمي رأس المال". (دونكر، 2008، صفحة 66)

وعليه فإن الاستغلال البرجوازي لم يستمر طويلاً والرفاهية التي تتمتع بها تلك الطبقة على حساب الأخرى ليست حتمية مطلقة وتخاذه البعض ما هو إلا نقص فقط لانتشار الوعي، بل كل شيء سوف يسقط أمام عملية التغيير الاجتماعي التي ستتم من خلال الثورة الاجتماعية من أجل بناء مجتمع العدالة. (فياض، 2017، صفحة 23)

على هذا الأساس فإن الثورة هي ثورة في كل مجالات الحياة: تكنولوجية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية وأيديولوجية...ثقافية. فهي تغيير في نمط الإنتاج، وأيضا في مكونات بناء المجتمع وانتقال الإنسان من صورة إلى أخرى. ذلك أن: "التغيرات في القوة الإنتاجية لا بد أن تستدعي عاجلا أم آجلا في العلاقات." (خضر، 1998، الصفحات 82-83)

2-3- الثورة حق لازم وأكيد:

إن الثورة مشروعة وفكرة الصراع متأصلة في الوجود البشري، فقد إرتبطت إرتباطا وثيقا بالإنتاج المادي وهذا ما إتضح عند ماركس من خلال تقسيمه لمراحل التاريخ. (المسير، 1979، الصفحات 364-366)

هذا التاريخ الذي يجب أن يغير نظرة الإنسان، فهو كائن يتميز بطابعه الاجتماعي ويملك كل القدرات التي تؤهله لتجاوز مختلف العقبات والتحرر من مختلف القيود، وذلك واضح الملامح عبر الزمن. (هيود، 2012، الصفحات 129-130)

بعد هذه المرحلة "البدائية" جاءت العبودية التي تمثل أكثر تطور من المرحلة الأولى خاصة بعد ظهور الملكية الخاصة، وزاد الإنتاج وظهر ما يعرف بالفائض وبرز الاستغلال، خاصة في ظل وجود السيد والعبد، وبعدها الطاقة الإقطاعية التي زادت من حدة التوتر الطبقي وأصبح الإنسان العامل فيها كالحيوان "أدت هذه التطورات إلى ظهور المجتمع الإقطاعي والنظام الأبوي الذي يكون فيه الحراك محكوم بسيطرة الإقطاعية"، وبعد مدة تطورت قوى الإنتاج وانفتح الشغل على واجهة كبرى، فظهرت الرأسمالية كصورة متكاملة لكل ضروب الاضطهاد والاستغلال. (كيلنوش، 2002، الصفحات 137-139)

وبالتالي يحدد ماركس: "في كتاب الإيديولوجيا الألمانية، الشيوعية البدائي أو المجتمع القبلي، والتي شكلت فيها الندرة المادية في الصراع والعبودية التي تشمل المجتمعات الكلاسيكية أو القديمة وتتصف بالصراع بين السادة والعبيد والفيودالية ويميزها العداء بين ملاك الأراضي والأقنان والرأسمالية الذي يغلب عليها الصراع بين البرجوازي والبروليتاريا." (هيود، 2012، صفحة 150)

هذه المراحل الأربعة الأولى التي تركزت فيها كل الأشكال اللإنسانية هي التي أوحى بحتمية الثورة كحق من حقوق أبدا لا يمكن التنازل عنه من أجل بلوغ مرحلة الشيوعية. وبالتالي أضحت الثورة ضرورة لا خيار ترفع بها البروليتاريا ما تحياه وتحول بؤسها وشقائها إلى سعادة وثورة، والتاريخ حافل بالشواهد التي تؤكد فاعلية الثورة في تغيير الأوضاع ومنها تاريخ ألمانيا المعاصر لذلك يقول انجلز: "الآن نظرتنا على تاريخ ألمانيا المعاصر وممارستها للعنف بالحديد والدم ولسوف نرى إذا بكل وضوح السبب في نجاح سياسة الحديد والدم." (إنجلز، صفحة 55)

مآل العنف الثوري عند كارل ماركس

ومثال ألمانيا على سبيل التوضيح لا الحصر فكثيرة هي الدول على هذا الشكل التي اعتمدت العنف الثوري والتي كانت علته الأساسية هي المعاملة المادية وأيضا الظروف الاجتماعية. حيث كانت طبقة العمال تعتمد كوسيلة فقط لبلوغ غاية الاقتصاد البرجوازي لذلك يقول إنجلز: "إن الظروف الاقتصادية وأدوات السلطة الاقتصادية هي التي تعضد في كل زمان ومكان العنف على تحقيق النظر". (إنجلز، صفحة 30)

ولما كانت هذه الظروف والأوضاع تخص طبقة العمال كان لابد أن تكون فئتهم هي الفئة المنشودة في الثورة، فالثورة ثورتهم وتغيير الأحوال يخصهم، وبالتالي أن الأوان لهم بأن يزيدوا الغبار عنهم. فظلم البرجوازي مستمر ما دامت أيدي العمال منهكة بالعمل فقط. ذلك أن "البروليتاريا ليست أيديولوجيتها 'راية' تقاتل تحتها، وحجة تحت غطاءها تتبع أهدافها الخاصة، إنها الهدف والسلاح ذاتهما. (لوكاش ج.، 1982، صفحة 69)

والعمل الثوري في الأساس بالرغم من أنه يشترط وعي كلي فالبروليتاريا هي حقيقة أبدا لا يمكن إنكارها، كما يحمل أيضا في المقابل فكرة الإمام المرسخة لديهم، لأن الثورة حق لهم وهو حق مشروع، إلا أن مشروعيته وتحقيق الهدف لا يكون بصورة عدسية فوضوية وإنما لابد من رسم خطة واستراتيجية لبلوغ المقاصد والأهداف وأيضا نجاح الثورة. فالتخطيط المسبق لأي شيء هو عنوان الفوز وبالتالي فإن: "كل تكتيك بدون مبادئ يحط المادية التاريخية حتى يكون منها 'أيديولوجية' بسيطة ويجبر البروليتاريا إلى نمط صراع برجوازي..، ويحرمها من أفضل قواها، إذ يحدون نوعها الطبقي دور وعي برجوازي." (لوكاش ج.، 1982، صفحة 69)

4- ذروة العنف ودكتاتورية البروليتاريا:

4-1- الثورة تخطيط محكم:

لطالما إرتبط مفهوم الثورة السياسية وكانت الغاية القصوة الثورة هي قلب أنظمة الحكم وهذا ما يتضح في كثير من مفاهيمها والذي وقف عليه العديد مثل "جميل صليبا" الذي يقول: "الثورة تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا نتبع فيه طرق دستورية. والفرق بين الثورة وقلب نظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة." (صليبا، صفحة 381)

وبالتالي كانت الثورة هي الأسلوب الفعال لتغيير الأحوال وهي مناقشة التطور من حيث الزمن كون أن التطور بحاجة إلى وقت، أما الثورة فتتميز بالسرعة، وهذا على حد تعبير صليبا الثورة مقابلة التطور: "فهي سريعة، وهو بطيء، وهي تحول مفاجئ، وهو تبدل تدريجي". (صليبا، صفحة 382)

إلا أن مفهوم الثورة اتسع وامتد ليشمل مختلف الجوانب خاصة وأن هناك تداخل بين النظام السياسي وأيضاً الإقتصادي والإجتماعي، وكان الظلم الرأسمالي نهاية بالثورة لأنه لم يكن بعيداً عن الإقطاعية. إذ: "أن النظام الرأسمالي ليس نظاماً اقتصادياً فحسب، إنما هو نظام فكري وإجتماعي، سياسي، قانوني وفلسفي، ويكفي معرفة أن الطبقة البرجوازية صبغت التاريخ الحديث بصبغتها بنفس الدرجة التي صبغت بها الطبقة الإقطاعية العصور الوسطى. (رمضاني، 1996، صفحة 15)

فالعامل الثوري إذا هو تخطيط يبني على رسم متين لقواعد وأسس من أجل الوصول إلى الغاية، فرفض الملكية الفردية وحده لا يحقق المبتغى وهو ما كان عند كونفوشيوس الرفض للملكية الفردية في القرن الخامس قبل الميلاد، وأيضاً توماس مور في القرن 16 عشر الذي دعي إلى استبدال الملكية الجماعية بالفردية. لكن كل ذلك لم يجني الثمار كونه غير مخطط. (العام، 2006، صفحة 162)

والدراسة أساساً بالأحوال والظروف تساعد المخطط على بلوغ الهدف لأن هذا الهدف في الأساس هو نفسه النقص أو الشيء المراد بلوغه، كما تقوم هذه العملية أيضاً على ربط علاقة وثيقة بين مختلف الطوائف. (بوليتزر، صفحة 177)

2-4- تنفيذ الثورة وقلب الموازين:

إن الثورة في الأساس لا يمكن لها أن تتوقف لأن نمو الوعي الفردي ثم الوعي الجماعي وبعدها التخطيط للثورة لا يكفي، بل لابد من الشروع فيها والعمل من أجل فك التناقضات وإحلال مجتمع يسوده التوازن: "إذ يسعى الاشتراكيون البرجوازيون لتأمين ظروف المجتمع الحديث بدون النضال من أجل ذلك وما يتبع ذلك النضال من أخطار لا مفر منها. فهم يريدون المجتمع الحالي من العناصر التي تبعت فيه الثورة وتؤدي إلى انحلاله، أي أنهم يريدون البرجوازية بدون البروليتاريا". (بوليتزر، صفحة 130)

وهذا التناقض الحاصل بين العامل وصاحب المال يجعل الطبقة الدنيا تنقلب على الطبقة العليا وفق جدلية مادية تنقل الملكية الجماعية إلى فردية والحرية إلى مساواة، والجدل إذن يلعب دور فعال في قلب الموازين ذلك أنه: "لا تعيننا الجدلية فقط على فهم التناقض الرئيسي الذي يكون النضال الطبقي نضال البروليتاريا ضد البرجوازية)، ذلك النضال الذي سيولد الاشتراكية، بل هي تمد البروليتاريا بالوسيلة التي تمكنها من التعرف على القوى العائلة التي يمكنها الاستعانة بها في محاربة البرجوازية." (بوليتزر، صفحة 132)

هذه المحاربة أولاً وأخيراً يعزى الفضل فيها إلى البروليتاريا فهي تمثل حركة ثورية ذات طابع عملي سارت على خطى معينة لكي تلغى كل ضروب التناقضات التي ولدت الاحتلالات الاجتماعية،

وكان كل شيء على حساب الكادح الذي لا يجد ما يسد جوعه، ولهذا: "لم تتكون الماركسية ولم تتقدم إلا بفضل نضال البروليتاريا الموضوعي". (بوليتزر، صفحة 129)

5- من العنف إلى التسامح:

1-5- الثورة على الرأسمالية وبناء مجتمع لا طبقي:

إن غاية الثورة في النهاية هي القضاء على الطبقة، هذه الأخيرة هي العلة الوحيدة التي تبرر استمرار الرأسمالية ومختلف الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي كانت: "الثورات بهذا المعنى المتميز ظاهرة راديكالية حديثة، فهي تقوم على الجدة والتجديد وتبحث عن التجديد وتعتبر نفسها محددة." (بشارة، 2012)

إن الطبقة في الأساس أذكوبة وهي فكرة مصطنعة فرضها التفاوت المادي والملكية الفردية وتصادم المصالح، إذ يجب أن تزول وتضمحل وذلك بمنظور ماركس. وبالتالي فإنه: "من المعلوم أنه في كل مجتمع تصادم مطامح البعض مع مطامح البعض الآخر، وأن الحياة الاجتماعية مليئة بالتناقضات وأن التاريخ يكشف لنا عن الصراع الذي بين الشعوب والمجتمعات." (لنين، 1977، صفحة 8)

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه لا بد من الثورة على الرأسماليين لأن نظامهم مولد الطبقة ولا مجال للتخلص من هذه الأخيرة وقيام توازن اجتماعي تلغى فيه كل الفوارق والاختلافات، إلا بانهياء الرأسمالية وحلول نظام شيوعي. لأن البرجوازي ولد من رحم الإقطاعي وكلاهما يعزز الطبقة. (لنين، 1977، صفحة 8)

2-5- الشيوعية وميلاد التسامح:

حقيقة لا يمكن الحديث عن فكرة التسامح بوجود الصراع بل لا بد أولاً من القضاء على مختلف الصراعات، وبناء مجتمع يخلو من التناقض كي تحل بعد ذلك الشيوعية وينتشر السلام ذلك كأن هناك نهاية التاريخ ستقع بالفعل عندما يتشكل مجتمع يخلو من التناقضات أو العداوات التاريخية، ويعني ذلك عند ماركس الشيوعية أو المجتمع اللاتبقي الذي يقوم على الملكية المشتركة الثروة الإنتاجية، ومع إرساء دعائم الشيوعية سينتهي ما يطلق عليه ماركس ما قبل تاريخ النوع البشري. (هيود، 2012، صفحة 150)

إن نجاح الثورة إذن، وإلغاء الطبقة إنما هو بلا ريب سقوط الرأسمالية وميلاد للشيوعية التي ستعطي وجهها جديدا للحياة الاجتماعية وأيضا الاقتصادية، فالشيوعية إذا هي: "حركة فكرية، واقتصادية، يهودية، إباحية، وضعها كارل ماركس، تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التراث، وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حد سواء." (الحمد، 2002، صفحة 10)

وعليه فإن الشيوعية بهذا المنظور تتجاوز فكرة الاقتصاد لوحده، بل تتعدى إلى الجانب الاجتماعي وحتى العقائدي، كون أن لها أبعاد مختلفة وتوسعي إلى أهداف سامية.

هذه الأهداف تتلخص أساسا في نبذ كل أشكال الصراع، سواء التي كانت متولدة عن استغلال الذات من طرف الأرض أو من طرف الآلة، وفقدان حريتها، مما خلق إضطراب ذلك أن: "العامل في المصنع عبد للآلة، ملحق بها، فهي ملك غيره ممن يستثمرونهم مع الآلة. وهذا العامل أو ذاك الفلاح قد أضاع حريته وأضاع الكثير من إنسانيته، منذ أن أصبح شيئا ملحقا بالإنتاج. فالمالك من ماله وأرضه قوة لا بعد لها جهد الكادحين". (الأطاسي، 1989، صفحة 15)

هذه الحرية التي تعد نفس جديد يحقق الوجود الإنساني ويعيد للذات كيانها وعلاقتها الطيبة مع الآخر، ويكفي أنها تسترجع حقيقتها التي غابت عنها زمن طويل: "سنوات وسنوات مرت على هذا النظام كادت تنسي الإنسان المظلوم أسباب ظلمه وتأخره، حتى جعله يتصور لأنه ليس بمقدوره أن يكون إلا ما هو عليه، وليرى الفوارق الطبيعية والتمايز المادي والاجتماعي شيئا طبيعيا في حياة الإنسان على هذه الأرض الحامدة وأن لا عدالة إلا في السماء". (الأطاسي، 1989، صفحة 17)

وبالتالي أسباب الأحقاد والضغائن في الأساس هي مبادئ النظام الرأسمالي التي لا تزول إلا بتعويضها بمبادئ الاشتراكية من أجل نبذ العنف والاستمرار في إطار اللاعنف.

6- وجه الحياة في ظل الشيوعية:

6-1- استقرار الحياة وانتشار العدالة والمساواة:

إن شعار الثورة الماركسية هي "العدالة والمساواة" التي لاقت استحسانا كبيرا عند الكثير من شعوب العالم خاصة لدى فئة العمال في أنحاء العالم، لذلك اتخذوا من الأفكار الماركسية مبدأ للمطالبة بالحقوق وكانت بمثابة الوعي الذي ظهر في الساحة العالمية منددين بالأوضاع المزرية التي يعيشون فيها، إذ نجد أن من طبق هذه الأفكار ويعتبر نموذج لها هي الثورة البلشفية.

لقد كانت الثورة الروسية البلشفية ثورة الكل وليست الجزء، فهي ليست نتاج فرد أو فئة واحدة فقيمة الثورة بمدى شعبيتها ومدى ما تعبر عنه الجماهير الواسعة والتعبئة من القوى لإعادة صنع المستقبل وفرض إرادتها، الذي قدم الفكر الماركسي نظرية كاملة لهذه الثورة، إلا أن هذه النظرية تؤدي دورها داخل نطاق الفلسفة الماركسية التي تعد الثورة أمرا حتميا للانتقال من نظام اجتماعي آخر وتطبيق ديكتاتورية البروليتاريا التي تنقل المجتمع من نظام الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي. (كاظم، صفحة 1)

ولقد كان لمثل هذه الثورة نشاط بارز كرسته فئة العمال، التي من خلال الوعي بالفكر الماركسي لذلك كانوا العمال يرون أنه في ظل أكثر الحكومات حرية أن يبقوا في حالة المجاعة التي يعانون منها إذا ما سيطرت على الحكم طبقات أخرى غير طبقهم. (ريد، 1985، صفحة 72)

ولقد أكدت كل الدراسات أنه من طبيعة العامل الروسي أنه يناضل من أجل حريته وحقوقه المسلوبة منه، والذي يكون فيها النضال بكل الطرق المسموحة بها للدفاع واسترجاع ما كان مفقود، فهذه الثورة مرتكزة على فئة العمال التي كانت المهتمات الأساسية الملقاة على عاتقها تؤكد أنها ثورة ديمقراطية. (تروتسكي، صفحة 47)

تتخذ شعارا جذابا و متماسكا لحل كل المشاكل التي تواجه ملايين العمال الذين أرادوا الأرض، وملايين الجوعى الذين أرادوا الخبز، والملايين الذين تعذبوا، فكثير من العمال كانوا يقولون: "بالتأكيد نحن نريد الأرض لكن لا بد أن ننتظر نهاية الحرب، وحينما سيقدر برلمان أن يمنحنا الأرض وبالتأكيد نريد السلام لكن لا بد أن ننتصر بالحرب أولا. كانت هذه وراء الأفكار الماركسية فقد كانت جريده "رابتوشيا يسولدرات" التي كانت صوت البروليتاريا البتروغرافية، وذلك من خلال ما نادى به؛ "ينبغي إنقاذ الشعب من الهلاك، ينبغي المضي بالثورة حتى النهاية، ينبغي انتزاع السلطة من الأيدي المجرمة البرجوازية وتسليمها لأيدي منظمات العمال والجنود، الفلاحين والثوريين". (ريد، 1985، صفحة 74).

إن الفقر والبأس والشقاء والمعاناة كلها ظروف توجد عند طبقة العمال، وتجعلهم في نضال دائم ضد الطبقة المالكة، لجعل حقوقهم مشروعة ومعترف بها وسط الظروف السائدة. ومن الطبيعي أن تكون الاضطرابات، "فبدأ العمال في تكوين نقابات تضم شملهم، وتطالب حقهم في الراحة وزيادة الأجور والخدمات الاجتماعية". (ماهر ج.، 1990، صفحة 33)

6-2- تغيير الأوضاع المادية والاجتماعية وعودة العلاقات بين الناس:

إن أي ثورة كي تنتصر وتحقق مطالبها مثل البلشفية التي كان وقودها الماركسية والتي كان اهتمامها الأساسي بهذه الشريحة، وضرورة القضاء على النظام المستبد الرأسمالي، فقد قال أحد عمال الروس من أجل الدفاع عن البروليتاريا: "إني أتكلم باسم بروليتاريا بترغراد، نحن مؤيدون للعصيان، فافعلوا ما تشاؤون، ولكني أعلن لكم أنكم إذا ما سمحتم بحل السوفيات فلن نمشيكم أبدا". (ريد، 1985، صفحة 83)

فالسوفيات هي ممثل العمال الفلاحين، فهي ترفع مطالب الشغيلة، لذلك كانت ثقة العمال في ممثلهم هذا ثقة عمياء، وكانت هذه الهيئة مدعومة من قبل "لينين" الذي رفع شعار "الحرب على الحرب" أي تحويل الإمبريالية إلى حرب أهلية تشنها الطبقة العاملة في كل البلاد ضد الطبقة

البرجوازية فيها، وقيادة الحرب في هذه البلاد ويجب عدم توجيه السلاح ضدها (رمضاني، 1996، صفحة 258).

ومن خلال هذا الشعار الذي تزعمه "لينين" من أكبر الداعيين إلى الفكر الماركسي الداعي إلى النظام ضد الطبقة المالكة من خلال القيام بثورة، قامت في 14 فبراير 1917 بإضراب ستون مصنعا كبيرا في بترغراد، الذي شارك في هذا الإضراب 200 ألف عامل وتحول الإضراب إلى مظاهرة ضخمة، ونزل العمال إلى الشوارع العاصمة هاتفين بسقوط الحكم المطلق. (رمضاني، 1996، صفحة 259)

كل عمل بحاجة إلى ضغط وأي انقلاب لا بد أن يأخذ بيد ما، فلم يجد العمال إلا الإضراب كأداة أساسية تستخدمها الأمة في فجر يقظتها لتدمير قيود الحكم المطلق، فهذه الإضرابات لم تكن في هذه الفترة فقط، بل كانت قبل ذلك إضرابات للعمال نادوا بالأوضاع المزرية، وكان ذلك في 1905م، حينما قدموا رسالة إلى قائدهم: "نحن العمال المقيمين في بطرسبورغ جننا إلى جلالتكم نحن عبيد مساكين مظلومون يسحقنا الاستبداد والتعسف، وعندما عيل صبرنا توقفنا، وطلبنا من أسيادنا أن يعطونا فقط ما تكون الحياة بدونه عذابا بعذاب، ولكن كل هذا قبل بالرفض وكل هذا بدا لأصحاب المصانع غير مشروع، نحن هنا آلاف وآلاف ونحن مثل الشعب الروسي بأسره لا نملك أي حقوق بشرية، بفضل موظفيك صرنا عبيدا". (لينين، 1977، صفحة 1)

فالثورة الروسية العمالية كان لها صدى عالمي من خلال وقوف الشعب والتمسك بالمطالب، وأبرز من وقف صامدا مع هذه الثورة بحيث أعلنوا بقولهم: "وعلاوة عن هذا تعلن حامية بتروغراد أنها تقف بكليتها مع البروليتاريا المنظمة على حراسة النظام الثوري في بتروغراد إن كل محاولة من جانب البرجوازية لإحداث الإضراب والخلل في الصفوف الثورية ستلقى مقومة لا رحمة فيها". (ريد، 1985، صفحة 103).

والعمل الثوري عمل مزدوج لم يقتصر فقط على الرجال، فقد لعبت العاملات دورا مهما في هذه الثورة وأبرز مثال في هذا عاملات النسيج، لذلك كانت رجال ونساء، إذ نجد في 23 فبراير 1917م، وصل عدد المشاركين في الإضراب خلال هذا اليوم من كلتا الفئتين حوالي 90000 شخصا، وترجمة التدابير النضالية إلى مظاهرات واجتماعات ومعارك مع الشرطة. (تروتسكي، صفحة 82).

ومن خلال هذه النداءات المتواصلة التي تدعو إلى تحرير طبقة العمال التي تزعمها "لينين" أحد زعماء الماركسية كانت نطاق الإضرابات اتسع وامتد وشمل " 240.000 عامل وكان ذلك في فبراير، كما شارك عدد لا بأس به من عمال المؤسسات الصغيرة التي أوقفت العمل. (تروتسكي، صفحة 86)

7-الماركسية في ظل الانتقادات والامتدادات:

7-1-إنزلاقات الفكر الماركسي:

إن الفكر الماركسي عموماً كغيره من الأفكار الفلسفية قد واجهته العديد من الاضطرابات ووقع في العديد من الانزلاقات منها:

إن تصور ماركس لفكرة الإشتراكية والشيوعية المنبثقان عن تغير الموازين الإجتماعية والذي سيغير التاريخ، هو في الأساس ينطوي على كثير من الدغمائية فهو ضرب من الجنون يقر بنجاح الفشل، وهذا في تصور مجاهد عبد المنعم إذ يقول "تعاني الماركسية من وهم شديد يجعلها وربما خبيثاً بالنسبة لتكوين العقل الحديث...، هذا الوهم هو تلك النزعة الوثوقية التي تتحدث بها في أية قضية تتصدى للانخراط بالحديث فيها...، ولأن ماركس يتصور نفسه كأنه واقف خارج التاريخ والكون والإنسان يلم بكل كبيرة وصغيرة." (مجاهد، 1986، صفحة 2)

فمختلف الأفكار الماركسية إنما هي لهو وشعارات حملها ماركس وأتباعه، فهم في حقيقة الأمر لم يؤسسوا لفكر بناء منتج، بل اكتفوا فقط بالمناداة بأراءهم أنفسهم لم يسألوا عن مدى تطبيقها أو إن كانت ناجحة فقط. (مجاهد، 1986، صفحة 2)

إن أفكار ماركس عن الشيوعية جعلت منها أفكار في ظاهرها تزعم أنها تعيد الاعتبار للذات الإنسانية من خلال إلغاء الطبقة والإهتمام بالعمال واسترجاع حقوقهم المسلوبة، إلا أنها في حقيقتها تعتبر الإنسان وسيلة وليس غاية لذلك قيل: "لا يمكن أن تكون الشيوعية فلسفة حقة قائمة بذاتها أو أنها تعبر عن كيان الإنسان لأنها لا تأخذ الإنسان وجوهه بعين الاعتبار، بل تعتبر ما قيل عنه في أزمنة مختلفة وجعلت من هذه الأقوال عنواناً جديداً "لفلسفة سلبية"، ولذلك أخذت ما يناسبها وتركت الباقي". (اليازجي، 1963، صفحة 6)

إن مختلف المبادئ التي قامت عليها الشيوعية وأفكار ماركس الإشتراكية هي تنطلق من مبادئ القوة والصراع والعنف وهي تصورات غير مبررة لأن الملكية التي تمثل جوهر الرأسمالية وعلّة الأوضاع المزرية اعتقاد ثبت بطلانه، سواء بهذه التصورات أم بغيرها: "هكذا يقوم الصراع بين الناس لأجل الملكية، وذلك لأنهم يعتقدون أنها وسيلة لتحقيق العدالة والمساواة ولأنها أساس للتفرقة وبما أنه لا يمكن إيجاد مساواة في ما ندعوه بالمقدرة على العيش لذلك نجد الصراع القائم بشكل انتلافات أو حلقات إجتماعية تعمل على تهديم بعضها البعض، وهذا ما يؤدي إلى مبدأ التناقض بين العناصر الاجتماعية التي تؤلف المجتمع والتي في قالب من العنف والصراع والانقسام". (اليازجي، 1963، صفحة 84)

كما أنتقد ماركس أيضا في فكرة الحرية وتصور الإغتراب فكان من الضروري أن يعمل على جعل الإنسان يسيطر على الطبيعة ويثبت أناه، وليس بالتمرد على أخيه الإنسان، وذلك بمنظور ادجان موران الذي: "رأى أنه من المفروض أن يجد الإنسان، عند ماركس، خلاصة بإزالة الإغتراب، بمعنى أنه يتخلص بالتححرر من كل ما هو غريب وبالسيطرة على الطبيعة، إلا أن فكرة الإنسان، غير المغترب، فكرة غير عقلانية...، أما فكرة التمرد المطلق وبالسيطرة على الطبيعة والخلاص على الأرض إنما هي فكرة نحتها الجنون المجرد. (خضر، 1998، صفحة 63)

إن نقد الأفكار التي قامت عليها الماركسية هو نقد بناء خاصة وأنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن التفاوت قانون الطبيعة. وأنا متميزين في قدراتنا العقلية والنفسية والجسمية وأيضا في مكاسبنا المادية. وبالتالي لا يمكن قلب التفاوت إلى مساواة. (الرحيلي، 2003، صفحة 52)

2-7- إسهامات ماركس الفلسفية:

إن التقويضات التي وقع فيها الفكر الماركسي لا تعني البتة أن ماركس لم يقدم إسهامات فلسفية بل على العكس من ذلك قد غير منحى الكثير من الآراء ومنها:

كان ماركس ثورة عارمة على الفلسفات المادية التي فهمت فكرة المادية فهما خاطئا وأقصت الذات البشرية ككيان متعدد الأبعاد، كما رفضت في المقابل الرومانية الخالصة، بوصفها ميتافيزيقا لا تمد الواقع بصلة ذلك أن: "نظرتها للحياة مادية ولكنها ليست بالمادية التي قال بها العلماء الماديون وهكذا نفت المادية. ولم تقف عند هذا الحد بل أنها نفت الرومانية القائمة على نوع من المادية، وأخيرا نفت الصلة القائمة بين الروح والمادة." (الياجي، 1963، صفحة 21)

لقد ساهم كارل ماركس في تغيير نظرة الإنسان فكانت مركزية الذات تحتل الصدارة في الفكر الماركسي، فالذات الإنسانية بالنسبة له، ليست كالظواهر الطبيعية مثلما كان سائدا من قبل كما رسم حدود جديدة لصيرورة التاريخ، وأخرج الفكر الفلسفي من التشاؤمي إلى التفاؤل، وأصبح التنبؤ بالتغيير متاح والإيمان بعيش السعادة والرفاهية ممكن. (فرح، 1981، صفحة 18)

ولقد كان الجدل الذي يمثل عماد الفلسفة الماركسية أحد مؤشرات التجديد، حيث يعود الفضل إلى ماركس في تطويره لفكرة الجدل، إذ تجاوز الجدل بمفهومه اليوناني القديم، وأيضا الغربي الهيجلي الحديث، إذ أصبح الجدل المادي والتاريخي الماركسي يمثل صنع جديد لصيرورة الوجود البشري عبر الزمن من خلال تغير الأحوال والظروف وتعاقبها. (مجاهد، 1986، الصفحات

(8-7)

وفضلاً عن ذلك يمكن القول بعبارة أوضح عن ماركس هو ما صدر عن لينين: "أن ماركس في كتابه المميز (تعاليم مارك)، أنه العبقرى الذى أكمل الأيديولوجيات الثلاثة الرئيسية، التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر، وهى فى البلدان الثلاثة الأكثر تقدماً فى العالم، وهى الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، والاقتصاد السياسى الإنجليزى الكلاسيكى والاشتراكية الفرنسية". (خضر، 1998، صفحة 11)

8-خاتمة:

وفى الختام يمكن القول إن حياة البشر بالمنظور الماركسي قد قطعت شوطين الأول: كان ذو طابع عنيف يتخذ شكل ثوري ناتج عن صراع الطبقات، عنف سبقه وعي بناء وفهم حقيقى لطبقة وعت أنها تنتج البؤس والشقاء لنفسها، والثروة والسعادة لغيرها.

إن أى عمل يستوجب وجود الوعى ذلك أن الإنسان كائن عاقل لا بد أن يتنامى له الوعى سواء كان بذاته أو بما يحياه لأن نمو الوعى أول بذرة للتغيير.

إلا أن هذا الوعى ينبغى أن يكون انفعالاً ذاتى خالص، بل لا بد أن يعم الجميع، وأن يعي كل البروليتاريين واقعهم المعاش.

فالظروف الاجتماعية والمعاناة هى الدافع الأساسى لنمو الوعى ومن ثم بلورته، لكن لا قيمة له إلا إذا تحول من الانفعالات الذاتية إلى الممارسات الاجتماعية ومن الجانب النظرى إلى الجانب العملي.

ويتلخص هذا الجانب العملي للثورة إلى نتيجة حتمية للتناقضات بهدف قلب الموازين وإحلال المساواة والعدالة.

تنتهى الثورة والعنف ويدخل الإنسان فى مرحلة اللاعنف أينما تنتشر المساواة.

هذه الأفكار لاقت انزلاقات عديدة وتعرضت للكثير من التقويضات إلا أنها قد استطاعت أن تستمر، ويكفى القول أنه لا مناص للحديث عن عدالة اجتماعية إلا وماركس يتصدر طبيعة مناصريها، فقد قلب القسوة والظلم والفقر والحرمان إلى سعادة وثورة ويكفى أنه أعاد كرامة العمال المسلوبة طيلة عهد طويل المدى.

إن أفكار كارل ماركس لم تكن نظرية فقط، بل وجدت تطبيقاً فى العالم وذلك من خلال القيام بثورات، وأفضل نموذج عن ذلك الثورة البلشفية التى استندت إلى رأى زعيمها "لينين".

قائمة المراجع:

1. الأتاسي، ج. (1989). الاشتراكية بين ماضيها ومستقبلها. تونس: الطليعة العربية.
2. المسير، م. أ، س. (1979). المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه. القاهرة، دار المعارف.
3. أطالي، ج. (2008). كارل ماركس أو فكر العالم، ترجمة محمد صبح، سوريا، دار كنعان.
4. أندرو، ه. (2012). مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ترجمة محمد صفار، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
5. بشارة، ع. (2012). في الثورة والقابلية للثورة. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
6. بوليتزر، ج. موريس، ج، ب، أصول الفلسفة الماركسية. ترجمة ش. بركات، لبنان: منشورات المكتبة العصرية.
7. تروتسكي، ل، تاريخ الثورة الروسية. أ. د. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
8. جونز، ف. (2010). النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، ترجمة محمد، ي، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع.
9. الحمد، م، ا. (2002). الشيوعية. الرياض: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع.
10. الحوراني، ع، ك. (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع" التوازن التفاصيل صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع. عمان: دار المجد لاوي للنشر والتوزيع.
11. خضر، س، ع. (2019). الأخلاق في الماركسية نظرة نقدية، المجلة العلمية لكلية الآداب، العدد 34.
12. خضر، ز. (1998). نظريات سوسيولوجية . الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
13. الرحيلي، ح، أ. (2003). الشيوعية وموقف الإسلام منها. السعودية، مكتبة العلوم والحكم.
14. رمضان، ع. ا. (1996). تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
15. زيد، ج. (1985). عشرة أيام هزة العالم. بيروت: دار الفكر الجديد.
16. صليبا، ج. (1982). المعجم الفلسفي. ج1، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
17. العام، ر. (2006). الحرية الفردية في المذهب الاشتراكي والاجتماعي، بسكرة، العدد 10، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
18. فرح، إ. (1981). تطور الفكر الماركسي " عرض ونقد". بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
19. فياض، ح. (2017). كارل ماركس وعلم الاجتماع، نحو علم الاجتماع التنويري.
20. كينلوش، ج. (2002). نظرية علم الاجتماع" نماذجها الرئيسية وتطورها، ترجمة الجولاني، ف، ع. مصر: المكتبة المصرية.
21. لوكاش، ج. (1982). التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة ح. الشاعر، لبنان: دار الأندلس.

مآل العنف الثوري عند كارل ماركس

22. لينين، ف. (1977). كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض الماركسية، تونس، منشورات دار صامد.
23. ماهر، ج.م. (1990). التراث الماركسي الحقيقي. ترجمة، ه. حلي مركز الدراسات الاشتراكية.
24. مجاهد، ع، م، م. (1986). مقدمات في نقد النظرية الماركسية، تونس، منشورات الطليعة.
25. اليازجي، ن. (1963). النقد الفلسفي للماركسية.
26. إنجلز، ف، دور العنف في التاريخ، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق للنشر والتوزيع.
27. دونكر، ه، (2008)، البيان الشيوعي، الفارابي للنشر والتوزيع.